حول كتاب تحرير المرأة

للأستاذ مصطفى محمد ابراهيم

درجت الرسالة الغراء منذ شرعت وزارة المعارف سنة المسابقة بين طلبة السنة التوجيهية فى امتحان اللغة العربية — على نشر مباحث كريمة فيها توجيهات قيمة لأذهان الطلبة فى الكتب التى سيمتحنون فيها ، وكان المتولى أمر هذه المباحث النافعة الأستاذ الدكتور زكى مبارك

وقد قرأت فى عدد الرسالة الأخير (رقم ٣٨٩) بحثاً قيماً نفيساً حول كتاب من هذه الكتب هو كتاب « تحرير المرأة » للمرحوم قاسم بك أمين بقلم الكاتب الفاضل الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم المفتش بوزارة المعارف . وقد عنت لى بعد قراءته ملاحظات لم أر بداً من تدوينها تعميما لفائدة أبنائنا الطلاب

* * *

تناول الأستاذ شخصية المؤلف بشىء من الإسهاب فأحسن وأفاد ، إذ أن التعريف بالمؤلف والإبانة عن مقومات شخصيته ومدى ثقافته له أثر كبير فى تفهم آرائه والحكم على أفكاره . ثم عرض الأستاذ مباحث الكتاب عرضاً لطيفاً ، غير أنى تمنيت لو أنه أسهب فيه قليلاً حتى تزداد هذه المباحث الخطيرة وضوحاً ، خصوصاً وأن هذا الكتاب كان له من الأثر الاجتماعى العميق ما يزّ به كل كتاب فى هذا الباب فى هذا العصر ؛ فكان الطلبة خليقين أن يوجهوا فى دراسته توجيهاً واسعاً مسهباً

هذا وقد كنت قرأت كتاب تحرير المرأة هذا فرأيت من المباحث النفيسة التى احتفل لها المرحوم قاسم بك أمين وأعد لها ما استطاع من قوة وعتاد اقتضاه مجهوداً غير يسير — مبحث « الطلاق » وهو بحث سيبدو لمن يقرأه أنه مقطوع النظير

فقد عرض للمباحث الإسلامية فى هذا الموضوع الخطير عرضاً قوياً مكيناً ، وأورد أقوال الأئمة وأصحاب المذاهب والفقهاء من أمثال الزيلعى والشوكانى وابن عابدين ، ثم استوعب كل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة حول هذا الموضوع درس ذلك كله دراسة الفقيه المتفهم لروح الدين ، ثم هاجم أولئك العلماء الذين اشتغلوا بالتأليف فى هذه الموضوعات الخطيرة وكان أكبر همهم تأويل الألفاظ وتخريج الحروف ، حتى ملأوا كتبهم بنحو « طلقتك ، وأنت طالق ، وعلى الطلاق ، وبالتسعين ! وطلقت رجلك ورأسك » وما إلى هذا من الخيالات الغريبة ؛ وغفلوا عن أن الشرع إنما يقوم أولاً وقبل كل شىء على النية التى هى أساس الدين الإسلامى ، وكانت حملة موفقة كل التوفيق فقد ظهر عليهم ، ولا غرو فسلاح المرء يقينه

هذا الفصل من الكتاب هو فى ظنى البحث العلمى الفريد المبنى على الدراسة الدينية المستنيرة المدعمة بالحجج الدوامغ ، فليت الطلبة يولونه أكبر همهم ، ويدرسونه دراسة تثبت وتفهم ، ففى دراسة مثل هذا الفصل تنوير لأذهانهم وتعويدهم الصبر على مكاره العلم والقدرة على تخريج الأحكام الصحيحة من الاتجاهات المختلفة

هذه ملاحظاتنا على مباحث الكتاب . ولنا ملاحظات أخرى لغوية تعرض لها الأستاذ أبو بكر بالنقد :

فقد أخذ على المرحوم قاسم بك فى كتابه استعماله كلمة « الأهالى » بدل الأهلين جمعاً لكلمة « الأهل » . وليس جمع الأهل على أهالى خطأ . وقد ورد هذا الجمع فى الجزء الأول من كتاب « أساس البلاغة » — وهو من مراجع اللغة المهمة — فى مادة « أهل »

وخطأه الأستاذ فى استعمال كلمة «عائلة»[1] مكان «أسرة» وعندى أن الرفق خير من العنف وأننا نخدم اللغة وأهاليها بقبول الكلمات التى تجد لها وجهاً خصوصاً إذا كانت متواردة على الألسنة والأقلام منذ عهد طويل

ويخيل إلىّ أن الأستاذ الكبير حكم عليها بعدم الاعتبار لأنه لم يجدها فى كتب اللغة مع أن المعاجم لا تذكر المشتقات .

وأذكر أن أستاذنا الجارم بك كان يلقى منذ سنتين محاضرات عن طريق المذياع فى موضوع الأغلاط الشائعة فى العربية فورد على لسانه ذكر هذه الكلمة (العائلة) فأظهر غيظه

(١) كلمة « عائلة » من الكلمات التى ارتضاها مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد أن اقتنع بصحتها من الجهة اللغوية فى جلستيه الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين . (الرسالة)